مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

المنهج التحليلي للمعرفة العلمية عند غاستون باشلار

الدكتور إبراهيم رزوق *
كوثر هاشم **

(تاريخ الإيداع 9 / 9 / 2018. قبل للنشر في 12 / 11 / 2018)

□ ملخّص □

يُسلط هذا البحث الضوء على مسألة هامة وأساسية لدى أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين "غاستون باشلار" ألا وهي مسألة دور المناهج العلمية في تطور المعرفة و بالتحديد المنهج التحليلي للمعرفة العلمية عند هذا الفيلسوف والدور الذي لعبه غاستون باشلار من خلال هذا المنهج في صياغة مجموعة من المفاهيم العلمية التي أغنت الإبستمولوجيا كمفهوم العقبة الإبستمولوجية ومفهوم القطيعة ومفهوم التراجع الزمني – مع التركيز على أهمية العلاقة الجدلية بين هذه المفاهيم ودورها في تطور المعرفة العلمية.

الكلمات المفتاحية : العقبة الأبستمولوجية – العقلانية – التطبيقية –القطيعة – المنهج التحليلي – المعرفة العلمية التراجع الزمني.

[1] *أستاذ – قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية– سورية.
[2] **طالبة دراسات عليا "ماجستير"– قسم الفلسفة – كلية الآداب – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (6)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (6) 2018

The Analytical Approach of Scientific Knowledge at Gaston Bachelard

Dr. Ibrahim Razzouk[1]*
Kawthar Hasheem **[2]

(Received 9 / 9 / 2018. Accepted 12 / 11 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research highlights on an important and fundamental issue of the 20th century's most important philosophers, "Gaston Bachelard", which is the analytical approach to scientific knowledge of this philosopher and the role played by "Gaston Bachelard" in this approach in formulating a set of scientific concepts that enriched epistemology as the concept of the epistemological obstacle ,The concept of estrangement and the concept of undo time, with concentration on importance of the dialectical relationship between these concepts and their role in the development of scientific knowledge.

Keywords: Abstemological obstacle -rationalism-applied- estrangement - analyticalapproach - scientific knowledge- undo time .

1*-Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia / Syria
2-Graduate student "Master" - Department of Philosophy - Faculty of Arts - Tishreen University - Lattakia / Syria**

مقدمة :

يُعد غاستون باشلار من أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين حيث استطاع من خلال منهجه التحليلي للمعرفة الذي استقاه من منهج التحليل النفسي عند فرويد من استحداث مفاهيم جديدة ساعدته على تفسير تاريخ العلم تفسيراً منطقياً كما ساعدته على تجاوز كافة العقبات المعرفية التي تحد من قدرة العقل على التطور والانتقال إلى عقبات معرفية جديدة لأن تاريخ العلم كما يراه باشلار هو علاقة جدلية بين العقبات الإبستمولوجية و القطيعات.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه من البحوث القليلة التي توضح قدرة باشلار على الاستفادة من منهج التحليل النفسي عند "فرويد" و نقل هذا المنهج من علم النفس إلى علم المعرفة، والاستعاضة عن " المكبوتات النفسية" عند فرويد بما يسمى المكبوتات العقلية أو "العقبات الإبستمولوجية" في علم المعرفة وضرورة تجاوز هذه العقبات المعيقة لتطور الفكر العلمي والانتقال منها إلى عقبات معرفية جديدة .

منهجية البحث :

من المعروف بأن موضوع البحث هو الذي يحدد منهجية البحث وبالنظر إلى موضوع بحثنا فقد استخدمنا عدة مناهج كالمنهج "المقارن" والمنهج التحليلي النقدي إضافةً للمنهج التحليلي الاستنتاجي.

الدراسات السابقة:

هناك أبحاث قليلة تناولت استخدام المنهج التحليلي للمعرفة العلمية عند غاستون باشلار و دوره بناء المعرفة ، و ذلك لصعوبة فلسفة باشلار و عدم القدرة على فهم مصطلحاته بالشكل المطلوب ، و من أهم الدراسات حول باشلار ما قدمه الدكتور عماد فوزي الشعيبي حول مفهوم التحليل النفسي و أهميته في البحث عن القضايا المعرفية و هناك دراسة أخرى للدكتور رافد قاسم هاشم حول ابستمولوجيا المعرفة العلمية عند باشلار .

و نحن في بحثنا حاولنا إلقاء الضوء على منهج التحليل في المعرفة العلمية عند باشلار و كيف استفاد باشلار من منهج التحليل النفسي عند فرويد مع توضيح العلاقة الجدلية بين العقبة والقطيعة الابستمولوجية و إضاءة على فلسفة النفي عند باشلار .

أولاً: المنهج التحليلي النفسي لفرويد وأثره على المنهج التحليلي عند باشلار:

إن الهدف الأساسي من دراستنا لعلاقة الابستمولوجيا بالعلوم الإنسانية "هو اكتشاف مختلف الصور التي يمكن أن تتعامل بها الابستمولوجيا مع هذه العلوم بدءاً من علاقة الابستمولوجيا بعلم النفس العام ومنهج التحليل النفسي ".[1]

وبالطبع لاينحصر الهدف من هذا البحث في تحديد علاقة التحليل النفسي بالابستمولوجيا بصورة عامة، بل الهدف منه يتجسد في البحث عن الاقتراح الذي تقدم به الابستمولوجي المعاصر غاستون باشلار حول طبيعة العلاقة بين الابستمولوجيا والتحليل النفسي ، حيث يرى باشلار بأن الابستمولوجيا يمكن أن تستفيد من التحليل النفسي في بلوغ

[1]-محمد وقيدي: ما هي الابستمولوجيا، بيروت، دار الحداثة ، 1983، ص189.

أهدافها الأساسية بتحليل المعرفة العلمية لهذا يؤكد باشلار في كتاباته المتعددة بأن من المهام الأساسية للابستمولوجيا هي القيام بتحليل نفسي للمعرفة الموضوعية.

وقد حاول باشلار جاهداً توضيح الصورة الأساسية التي تربط الابستمولوجيا بالتحليل النفسي من خلال البحث عن المفاهيم الأساسية التي يستفيد منها التحليل الابستمولوجي من التحليل النفسي والتي تساعده في تحليل المعرفة العلمية.

"والتحليل النفسي عند فرويد ينطلق من فرضية عامة هي " اللاشعور" فالمحلل النفسي عندما يحاول تقصي وفهم الحياة النفسية لإنسان ما، لايقف عند الجانب الظاهر منها ، أي الجانب الشعوري، بل يجب عليه الاهتمام بالجانب اللاشعوري المكبوت من الحياة النفسية الذي كبته لعدم إمكان تحقق ولتعارض رغباته وميوله مع متطلبات الحياة اليومية واعتباراتها الأخلاقية والاجتماعية"[1].

وفرضية اللاشعور التي نادى بها "فرويد" والتي تقوم بالأساس على أن" كبت الرغبات التي لا يمكن تحقيقها في الواقع، والأهواء التي لا يمكن إظهارها لا يعني أبداً أن هذه الرغبات والميول يتم إقصاؤها أو إبعادها نهائياً وتفقد ديناميتها وسعيها نحو الظهور"[2].

فالحياة النفسية اللاشعورية في نظر "فرويد" لها تأثير كبير في حياتنا النفسية الشعورية إلى الحد الذي لا يمكننا فيه فهم الأخيرة بدون أخذ الأولى بالحسبان.

لذلك فإن "فرضية اللاشعور في التحليل النفسي تتضمن أن هذه الرغبات المكبوتة لا تتوقف عن سعيها إلى الظهور، أي تبقى في دينامية مستمرة تتحايل على مظاهر الشعور فتمتزج بها وتظهر من خلالها "[3]من هنا كانت جهود المحلل النفسي تتركز على ملاحظة مظاهر الشعور ملاحظة دقيقة كي يتمكن من كشف المظاهر اللاشعورية التي تختبئ وراءها "وبهذا الشكل استطاع "فرويد" أن يحلل الكثير من مظاهر الشعور ليجعل منها وسيلة في كشف ما هو "لاشعوري".[4]

فمن خلال تحليله لفلتات اللسان وزلات القلم وغيرها من أفعال الشعور البسيطة، ومن خلال تحليله بصورة خاصة للأحلام يصل فرويد إلى كشف الرغبات اللاشعورية التي تؤثر في سلوك الشخصية الإنسانية تأثيراً كبيراً دون أن تشعر بذلك.

وما تقدمه لنا فرضية اللاشعور الفرويدية هي مساعدتها لنا في إلقاء الضوء على حالات المرض النفسي، أو على حالات الاضطراب النفسي في مستوياتها المختلفة من أزمات نفسية وعقد نفسية تثبت توقف أو نكوص في الحياة النفسية.

ففرضية "اللاشعور" هي التي تساعدنا على تفسير مظاهر السلوك التي لا تستطيع فرضية تطابق الحياة النفسية مع الحياة الشعورية أن تفسرها.

و"هذا التمهيد لفرضية اللاشعور في التحليل النفسي الذي أوردناه يعد خطوة تمهيدية هامة لتقديم تصور عام عن هذه الفرضية التي انطلق منها الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" في تحليله الابستمولوجي للمعرفة العلمية الموضوعية".[5]

والذي يرى أن مهمة الابستمولوجيا الأساسية هي التحليل النفسي للمعرفة العلمية .

[1]-المرجع السابق ، ص213.
[2]-سيغموند فر ويد: تفسير الأحلام، ت: نظمي لوقا، كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، العدد 137 ، 1962، ص 18.
[3]-سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق بيروت ،ط1 ، 1952، ص12.
[4]-محمد وقيدي ، مرجع سبق ذكره، ص 190.
[5]-المرجع نفسه، ص191.

وإن ما يأخذه باشلار في منهجه التحليلي النفسي من فرويد هو فرضية "اللاشعور"حيث قام باشلار بتبني هذه الفرضية ونقل مجال تطبيقها من الحياة النفسية للشخصية الإنسانية إلى مجال العمل العلمي والمعرفي .

فالتحليل النفسي للمعرفة العلمية يهدف إلى الكشف عن " المكبوتات العقلية" لكي يتصرف على مدى أثرها على العمل العلمي، هذه المكبوتات العقلية هو ما يدعوه باشلار بالعوائق الابستمولوجية التي تأتي من داخل العمل العلمي وليس من خارجه.

ثانياً: التحليل النفسي للمعرفة العلمية عند "باشلار" ونتائجه المعرفية:

لقد استطاع غاستون باشلار من خلال اعتماده على منهج التحليل النفسي للمعرفة العلمية أن يقدم للمعرفة البشرية وخاصة في حقل الابستمولوجيا مجموعة من المفاهيم العلمية و الابستمولوجيا التي أغنت الابستمولوجيا كعلم جديد حديث النشأة...

ومن أهم هذه المفاهيم:مفهوم العقبة الإبستمولوجية وأشكالها– مفهوم التراجع الزمني –فلسفة النفي"لا"– العلاقة الجدلية بين القطيعة و العقبة الإبستمولوجية .

ينطلق باشلار من الاعتقاد بأن المعرفة العلمية تجري ضمن شروط نفسية وإن التفكير في هذه الشروط تساعدنا على وضع مشكلة المعرفة في صيغة عوائق لذلك فالعوائق الابستمولوجية هي إذن صيغة للتعبير عن مشكلة المعرفة العلمية في حالات معينة لها هي حالات تعطلها أو توقفها أو نكوصها ، لكن مع كل ذلك فإن هذه العوائق الابستمولوجية لا تأتي من خارج المشكلات العلمية، بل هي تنبثق من صميم المعرفة العلمية.

وفي معرض تحديده لمفهوم العقبة الابستمولوجية يقول باشلار : " إننا حينما نبحث عن الشروط النفسية التي تصاحب التقدم العلمي، فإنه سرعان ما يترسخ في أذهاننا هذه الفكرة، وهي أنه إذا ما أردنا فهم حقيقة المعرفة العلمية، فإنه يجب أن ندرسها في صورة "عقبات معرفية" – ولا نعني بهذه العقبات المعرفية الخارجية التي تتمثل في تعقد الظواهر وتلاشيها السريع، وكذلك ضعف قدرات العقل الإنساني، بل تعني بها تلك العقبات التي ترتبط ارتباطاً عضوياً داخلياً بفعل المعرفة نفسها، ويمكننا أن نستخرج من فعل المعرفة الأسباب التي تؤدي تارةً إلى " ركود المعرفة" وتعمل تارةً على انتكاسها – وهذا هو ما نطلق عليه لفظة "العقبة الابستمولوجية" [1]

وإذا كان الكبت يعتبر في مجال الحياة النفسية ضرورة لا غنى عنها للذات الإنسانية من أجل تكيفها مع الواقع فإن إنتاج العوائق الإبستمولوجية يعد بالنسبة للعمل العلمي نوعاً من ضرورة وظيفية وبتعبير آخر وعلى الرغم من أن العوائق الإبستمولوجية هي مظهر تعطل العمل العلمي أو توقفه أو نكوصه، فإنها مع ذلك ناتجة عن سيرورة هذا العمل العلمي ذاته.

بمعنى أدق إنه لا يمكن أن يكون هناك عمل علمي دون أن تكون هناك عوائق إبستمولوجية ومن هذه الناحية يمكننا مرة أخرى أن نقارن بين التحليل النفسي العام والتحليل النفسي للمعرفة العلمية فنقول:" إن التحليل النفسي يكشف عن الرغبات والميول والدوافع اللاشعورية المكبوتة التي تؤثر في السلوك الإنساني وتعيق هذا السلوك من خلال ظهور بعض الاضطرابات فيه ويسعى للحد من تأثيرها، لكنه لا يمنع بصورة كلية وقاطعة من ظهور رغبات وقبول ودوافع لاشعورية جديدة قد تؤثر في السلوك الإنساني من جديد" [2].

[1]-غاستون باشلار: فلسفة الرفض، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985،ص13.

[2]- شعبان حسن:برونشفيك و باشلار – بين الفلسفة و العلم ،ط1،دار التنوير، بيروت ، 1993، ص147.

إن عملية الكبت التي تنقل الرغبة من الشعور إلى اللاشعور ليست عملية اختيارية بل هي ضرورة وظيفية للحياة النفسية، فبفضلها تتمكن "الأنا" من أن توفق بين رغباته والواقع، فلا يظهر فيها إلا ما يتلائم مع الواقع، بينما تعمل الأنا على كبت ما دون ذلك، وهذا الأمر ينطبق على ما يسمى التحليل النفسي للمعرفة العلمية عند الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" –حيث أن هذا التحليل النفسي يكشف أيضاً عن المكبوتات العقلية للعمل العلمي– أو ما يسمى "العوائق الابستمولوجية" – وهو بذلك يساعد المعرفة العلمية على أن توضع موضع "وعي" ما يؤدي إلى توقفها أو تعطلها أو نكوصها، ولكن هذه التحليل لا يؤدي إلى زوال كلي للعوائق الابستمولوجية فهي تظهر من خلال العمل العلمي ذاته.

ونستطيع أن نرى هذه المسألة ذاتها من وجهة نظر أخرى، حيث نضع العوائق الابستمولوجية في مواجهة ما يعارضها وهو "القطيعات الابستمولوجية– فالقطيعة الابستمولوجية من وجهة نظر "باشلار" هي ما يعبر عن اللحظة التي يحقق فيها العلم قفزة نوعية في تطوره، يكون من نتائجها تجاوز العوائق الابستمولوجية القائمة، مع هذا لا توجد قطيعة ابستمولوجية حاسمة ونهائية في نظر "باشلار" فلكل فترة من تاريخ المعرفة عوائقها، وعندما تحدث قطيعة إبستمولوجية داخل فكر علمي تحدث لكي تساهم في قيام فكر علمي جديد، كما هو الحال عند الانتقال من " الفيزياء النيوتونية إلى النظرية النسبية" أو إلى الميكروفيزياء...

فهذا الأمر لا يشكل مانعاً لظهور عوائق إبستمولوجية جديدة داخل الفكر العلمي الجديد ذاته، ولعل هذا ما يعنيه "باشلار" بالقول :" إن تاريخ العلوم جدل بين العوائق و القطيعات الإبستمولوجية" [1].

إذن كانت هناك محاولة جادة من قبل "غاستون باشلار" للاستفادة من التحليل النفسي في التحليل الابستمولوجي للمعرفة العلمية، وهذا الأمر يمكن ملاحظته من خلال تطبيق هذا المنهج في تحليل وكشف ما يسمى بـ "العقبات الإبستمولوجية" عنده.

وبالطبع هناك نماذج متعددة من العقبات المعرفية التي افترضها "باشلار" كعقبة التجربة الأولى للإنسان التي تحتاج إلى عقلنة –وعقبة التصميم المتسرع للإنسان في إطلاق الأحكام على ظواهر العالم، والعقبة الجوهرية، والإحيائية، وعقبة الإسفنجة.....وغيرها من العقبات الأخرى التي تقف أمام تطور العقل البشري ومن المهم أن يتجاوز العقل هذه العقبات والانتقال منها إلى عقبات معرفية جديدة من خلال القطيعات الابستمولوجية، ولهذا وكما ذكرنا سابقاً القول الشهير لغاستون باشلار بأن تاريخ العلوم جدل بين العوائق و القطيعات الابستمولوجية.

وخلاصة القول فإن الابستمولوجيا التي تريد أن تكون تحليلاً يتابع المعرفة العلمية لا غنى لها من أن تأخذ بالحسبان شروط المعرفة كافة ، ومن أهمها الشروط النفسية.

فعملية المعرفة عملية نفسية إلى جانب كونها عملية عقلية، ومن أجل إبراز القيم الابستمولوجية في معناها العميق، لابد من الوقوف على أثرها النفسي.

ولعل هذا ما قصده باشلار عندما تحدث عن القيم الابستمولوجية للثورة العلمية المعاصرة بقوله: إنها قيم معرفية ونفسية في الوقت ذاته، لأنها لا تتعلق بالتطور العلمي وحده، بل يمس تأثيرها الفكر الإنساني ذاته من حيث إنها تؤثر في بنيته.

[1]-غاستون باشلار: تكوين العقل العلمي ، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 1981،ص19.

فاستخدام التحليل النفسي في تحليل المعرفة العلمية الإنسانية ذاتها، من حيث أنها تؤثر في بنيته. من هنا يمكننا القول بأن استخدام التحليل النفسي في تحليل المعرفة العلمية الموضوعية يلعب دوراً أساسياً وهاماً في تطور المعرفة البشرية.
وإذا كان البحث عن العوائق الابستمولوجية للمعرفة العلمية يمكن أن يقع على صعيد "الذات العارفة" أي يمكن أن يقع على الصعيد النفسي، فمن هذه الناحية فإن التحليل النفسي للمعرفة العلمية يمكن أن يساهم في كشف هذه العوائق.
لذلك فإننا نعتبر أن المساهمة التي يقدمها "غاستون باشلار" بهذا الصدد من خلال كتابه "تكوين العقل العلمي" تعتبر مساهمة هامة في سبيل الكشف عن الصور المتنوعة للعوائق الابستمولوجية.
وباعتبار أن العوائق الابستمولوجية لا تقع على هذا الصعيد النفسي فحسب، فإننا نعتبر البحث عنها وعن صورها المتعددة ينبغي أن يتم ضمن شروط المعرفة العلمية.
"ورغم إقرارنا بأهمية التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، لا ينبغي أن يدفعنا ذلك لإهمال دور العوامل الاجتماعية والتاريخية في التحليل الابستمولوجي للمعرفة العلمية وتطورها"[1].
و هذا يقودنا إلى القول أن باشلار يدعو دائماً إلى التجديد ويعارض أن يكون حصول المعرفة انطلاقاً من الصفر و لم نتوقف عند هذا الحد فقط، فنجد أن العوائق هي كل ما يُبقِ الفكر سجيناً لتصورات المعرفة العامة ويمنعه من بلوغ معرفة موضوعية للظواهر التي يدرسها .
فتاريخ الفكر العلمي هو تاريخ أخطاء وعقبات، وقد أكد باشلار في كتاباته على الاهتمام
بالخطأ في دراسة الممارسة العلمية، بل في تاريخ تكونها وتطورها، و يبدو هذا في قوله: " عندما نبحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم، سرعان ما نتوصل إلى الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارة العقبات، وأن المطلوب ليس اعتبار عقبات خارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها، ولا إدانة ضعف الحواس والعقل البشري"[2] .
وهذا يبين لنا أن العائق لا يظهر أبداً بشكل حاجز خارجي يقف بين الذات والموضوع و يمنعها من الوصول إلى حقيقته لذا وجب العمل على إزاحته، بل هو على العكس من ذلك حاجز نفسي ذاتي، كامن في باطن الباحث، يمنعه من الوصول إلى حقيقة الشيء من أجل الوصول إلى حقائق موضوعية، وهذا يجعلنا نبحث عن فحص المعرفة داخل النفس لا خارجها، لأن العائق يكمن في داخل الفكر نفسه وفي صميمه، ولكي نتجاوزه علينا العمل على تحطيم هذا الحاجز وفق آلية الوعي.
هكذا تضعنا مسألة المعرفة العلمية أمام ضرورة اعتبار شتى العوائق المختلفة التي يجب تجاوزها، وهي عوائق يدعونا باشلار إلى تعيينها على مستوى الفعل الفكري المعرفي ذاته، فلا يمكن أن يدعي أي باحث أنه توصل إلى نتائج موضوعية دون أن تتحكم فيه نزعات أو غرائز داخلية، حتى إن لم يعرفها فهي تقف كالستار أمام بلوغه للمعرفة الموضوعية.
فلسفة النفي" لا" عند باشلار ترفض إذن كل تصور علمي مسبق يعتبر نفسه كاملاً نهائياً: إنها الفلسفة التي ترى بأن " كل مقال في المنهج هو دوماً مقال ظرفي، مقال مؤقت لا يصف بناءً نهائياً للفكر العلمي، بل بناءً يبنى على الدوام ويُعاد فيه النظر باستمرار لذلك كان العلم وتاريخ العلم لا ينفصلان، باعتبار أن العلم محاولة دائمة للكشف عن الحقيقة، وإن تاريخ العلم هو " تاريخ أخطاء العلم"[3].

[1]- محمد وقيدي: ماهي الإبستمولوجيا ، المرجع السابق ، ص195.
[2]-المصدر السابق، ص13.
[3]-محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، دار الطليعة، بيروت، 1983،ص27.

ثالثاً: فلسفة "النفي" لا "عند غاستون باشلار وأهميتها المعرفية:

إن إيمان غاستون باشلار بما يسمى "الفلسفة المفتوحة" دفعه إلى عدم القبول بأي مبدأ عقلي سابق أو أية فكرة مسبقة، معتقداً بأن العقل البشري قادر على أن يقوم انطلاقاً من " التجربة" بصياغة منظومة معرفية يتحقق فيها الانسجام تدريجياً، بفضل التقدم العلمي والمراجعة الدائمة التي يقرضها العلم على العلماء فالعلم يُغذي العقل وعلى العقل أن يخضع للعلم الذي يتطور باستمرار "– ففلسفة النفي– " لا" عند باشلار ترفض إذن كل تصور علمي مسبق يعتبر نفسه كاملاً نهائياً: إنها الفلسفة التي ترى بأن " كل مقال في المنهج هو دوماً مقال ظرفي، مقال مؤقت لا يصف بناءً نهائياً للفكر العلمي، بل بناءً يبنى على الدوام ويُعاد فيه النظر باستمرار لذلك كان العلم وتاريخ العلم لا ينفصلان، باعتبار أن العلم محاولة دائمة للكشف عن الحقيقة، وإن تاريخ
العلم هو " تاريخ أخطاء العلم".[1]

ففلسفة العلم الفيزيائي المعاصرة –برأي باشلار– تتميز بحركة ابستمولوجية تنطلق من " العقلانية إلى التجربة" لأن من سمات العقلانية التطبيقية عنده أو ما يُسمى "العقلانية العلمية الجدلية" والتي تعتبر تجسيداً للفلسفة العلمية المعاصرة– بأنها تنطلق من " العقل إلى التجربة"– فهي حركة مزدوجة تجمع بين الواقع والعقل بين النظرية والتطبيق ، بين ما هو أولي "قبلي" وما هو "بعدي" بين الذاتية والموضوعية– إنها حركة تطورية نتيجة من العقل إلى التجربة والفيزيائي المعاصر يحتاج إلى يقين مزدوج يجمع بين الجانبين– النظري والتطبيقي"[2].

"وفي مقابل مفاهيم العقل العلمي القديم جاءت العقلانية التطبيقية عند باشلار مستندةً على مجموعة من الحقائق الهامة والأساسية وهي:

1– لا يوجد هناك عقل ثابت يحكم جميع أنماط معرفتنا– فالعقل نتيجة من نتائج العلم.

2– لا يوجد هناك منهج علمي شامل يصلح لكافة العلوم– فالمناهج متغيرة باستمرار، ولكل علم منهجه الخاص به.

3– إن تطور العلوم يخضع لتطور مناهجها باستمرار، والمناهج الرياضية أساسية لتفسير مختلف أنواع الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

4– تنشأ المفاهيم العلمية من الصعوبات والمشاكل العلمية التي يواجهها العقل العلمي، حيث يقوم العقل بدراستها من جديد وإعادة النظر فيها".[3]

الاستنتاجات والتوصيات:

خلاصة القول أنه يمكن أن نتوصل إلى مجموعة من النتائج :

1– اعتبار العوائق الإبستمولوجية لدى باشلار عوائق عامية إن صح التعبير، ناتجة عن
الاتصال التجريبي بالعالم الواقعي، وهو ما يدعو في جميع الأحوال إلى عقلنة الظاهرة لإضفاء الصبغة العلمية عليها، وهنا إذاً تتجلى الصيرورة العلمية لدى باشلار، حيث يعتبر أن العوائق ناتجة عن أصل واقعي ولتجاوزها لا بد من تركيبة عقلانية، فهو يحاول أن يقول بأن كل الأغلاط العلمية نتجت عن التطبيق السيئ للمناهج العلمية.

---

[1]- المرجع السابق ،ص27.
[2]-شعبان حسن، برونشفيك و باشلار- بين الفلسفة والعلم ، بيروت ،دار التنوير، 1999،ص198.
[3]إبراهيم رزوق: إبستمولوجيا العلوم الاجتماعية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، 2011، ص157.

2- إن باشلار استعمل التحليل النفسي كأداة منهجية ليُحلل بها طبيعة المعرفة العلمية، ويكتشف مكبوتات العلم ويتتبع مختلف المراحل التي يقطعها العلم في مسيرته التقنية.

3- إنه استعمل القطيعة الإبستمولوجية لأنه لم يكن بإمكانه أن يتقبل التاريخ العلمي على أنه مجرد تكديس للمعلومات، مؤكداً على دور الثورات العلمية في تحقيق قفزات نوعية يتم الانتقال بفضلها إلى نظريات جديدة لا يمكن أبداً اعتبارها استمراراً لنظريات سابقة عليها.

إذن فإن "المنهج الذي اتخذه باشلار هو المنهج السيكولوجي و الذي أراد به منح فلسفة العلم منهجاً تُحقق به كيفية ما يكون به العقل العلمي والعوامل الذاتية المؤثرة فيه"[1] .

و يتضح لنا بأنه في التحليل النفسي القديم ننتقل من التحليل النفسي للظاهرة إلى تفسير الظاهرة

نفسها من خلال الأحلام وحالات الصرع وعمليات التفكير وهي ظواهر تتعلق بالشخص، بينما التحليل النفسي عند باشلار موّجه لدراسة نظرية علمية أو مفهوم علمي، أي أنه يقصد دراسة بنيات العلم دون تحليل شخصية العالم.

المصادر و المراجع:

1- سيغموند فرويد: *الأنا و الهو*، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق بيروت ،ط1 ، 1952.

2- سيغموند فرويد: *تفسير الأحلام*، ت: نظمي لوقا، كتاب الهلال، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال، العدد 137 ، 1962.

3- غاستون باشلار: *النار في التحليل النفسي*، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1984.

4- غاستون باشلار: *تكوين العقل العلمي*، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 1981.

5- غاستون باشلار: *فلسفة الرفض*، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الأولى، 1985.

6- إبراهيم رزوق: *إبستمولوجيا العلوم الاجتماعية*، جامعة تشرين: اللاذقية، 2011 .

7- محمد وقيدي: *ماهي الإبستمولوجيا؟*، مكتبة المعارف للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.

8- محمد وقيدي: *العلوم الإنسانية والإيديولوجيا* ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1983.

9- شعبان حسن: *برونشفيك و باشلار- بين الفلسفة والعلم* ، بيروت ،دار التنوير، 1999.

10- محمد عابد الجابري، *مدخل إلى فلسفة العلوم*، دار الطليعة، بيروت، 1983.

[1]-غاستون باشلار: النار في التحليل النفسي، ترجمة نهاد خياطة، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ص15.